مجلة المتكأ

منشورات مركز المتكأ للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا المطبوع أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي معتمد من الناشر.

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر أعضاء هيئة التحرير بالمجلة أو مركز المتكأ.

رقم الإيداع: 9/2016

المجلد الأول
العدد الثاني
ديسمبر 2016م

منشورات مركز المتكأ للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية

أسعار المجلة

	سعر النسخة الواحدة محلياً	سعر النسخة الواحدة خارجياً	الاشتراك السنوي محلياً	الاشتراك السنوي خارجياً
للطلبة	5 دينار ليبي	5 دولار أمريكي	9 دينار ليبي	9 دولار أمريكي
الأفراد	7.5 دينار ليبي	10 دولار أمريكي	12 دينار ليبي	8 دولار أمريكي
الهيئات والمؤسسات	15 دينار ليبي	20 دولار أمريكي	25 دينار ليبي	35 دولار أمريكي

المشرف العام

الأستاذ فرج عبد السلام ميلاد (رئيس مركز المتكأ للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية)

هيئة التحرير

رئيس التحرير: د. شعبان دخيل سعيد بن سكيب مدير التحرير: د. فتحي إبراهيم أحمد

مساعد: أ. صالحين امحمد كنشيل

أعضاء هيئة التحرير

1 - د. أحمد عبد الله عبد الحفيظ
2 - د. أمبارك محمد عبد الحميد
3 - د. عبد الحكيم محمد عثمان
4 - د. محمد سعد أبو كرش
5 - د. مفتاح جمعة إبراهيم
6 - أ. أشرف علي محمد لامة
7 - أ. الفيتوري إبراهيم جمعة جلاح
8 - أ. معمر حسن ضو البرغوثي

الهيئة الاستشارية حسب الترتيب الأبجدي

1 - د. الهادي علي زبيدة
2 - د. أمطير سعد غيث
3 - د. انديش الطاهر بلعيد
4 - د. بشير رمضان التليسي
5 - د. بلعيد الطاهر بلعيد
6 - د. سليمان رمضان الداقل
7 - د. صالح معيوف مفتاح
8 - د. عبد الحميد علي التليسي
9 - د. عبد الغني ميلاد الباقول
10 - د. عبد الله محمد النقراط
11 - د. عبد الله علي سليمان
12 - د. علي الحسين معمر
13 - د. عوض سليم خليفة
14 - د. عيسى زايد أبو حمرة
15 - د. محمد احمد أبو كلش
16 - د. مفتاح محمد عمار
17 - د. نصر أحمد الزوام
18 - عبد الرحمن عبد الله الشريف

أسس وقواعد النشر بالمجلة:

1. نشر البحوث والدراسات العلمية والمتخصصة، التي تراعي قواعد النشر العلمية والعالمية المتبعة، من جودة الموضوع وأصالة الأفكار ووضوحها وترابطها ورصانة الطرح ودقة النتائج وسلامة المنهج والتوثيق العلمي، والخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية بما في ذلك الأخطاء المطبعية.

2. أن يسهم الموضوع في إثراء المعرفة وتنمية الفكر العلمي.

3. أن تكون البحوث أصيلة ومبتكرة، ولم يسبق نشرها في مجلة أو كتاب أو قدمت للنشر في مطبوعة أخرى وغير مستلة من رسالة أو أطروحة علمية.

النظام الداخلي للمجلة:

1. تصدر المجلة باللغة العربية وتنشر بحوث مكتوبة باللغة الانجليزية.

2. تكون المجلة محكّمة وفق المعايير العلمية المعمول بها في الجامعات والمراكز المعترف بها.

3. تصدر المجلة نصف سنوية.

4. تعنى المجلة بنشر البحوث والدراسات الميدانية والتطبيقية والعلوم الإنسانية على السواء.

شروط شكلية للمجلة:

1. تقدم نسخة من البحث مطبوعة على وجه واحد من الورقة بقياس (A4) مع إرفاق نسخة على اسطوانة مدمجة (CD).

2. لا يزيد عدد الصفحات في البحث المقدم عن 30 صفحة من حجم كورتز.

3. تحتفظ المجلة بحقها في إجراء التعديلات الشكلية في المواد المراد نشرها دون الإخلال بجوهرها كما تحتفظ بحقها في نشر المادة وفق سياسة المجلة.

4. لا يحق لأصحاب الدراسات والبحوث استرجاعها سواء قبلت للنشر أو لم تقبل.
5. تكون كتابة البحوث المكتوبة باللغة العربية بخط Simplified Arabic أما البحوث المكتوبة باللغة الانجليزية تكتب بالخط المعروف باسم Times New Roman.

6. يكون حجم الخط على النحو الآتي: • بنط 16 داكن للعناوين الرئيسية. • بنط 14 داكن للعناوين الفرعية. • بنط 14 للمتن. • بنط 14 للمستخلص بخط مائل. • بنط 11 للهوامش.

7. تكون الهوامش على النحو التالي: • أعلى وأسفل 2.5 سم. • أيمن 3 سم. • أيسر 2.5 سم.

8. تخضع المواد العلمية المقدمة للنشر في المجلة، للتقييم العلمي واللغوي من قبل أساتذة مختصين تحددهم هيئة التحرير بشكل سري.

9. يحق للمجلة مطالبة صاحب المادة العلمية بإجراء التعديلات الواردة من المقيمين، كما يحق للمجلة إجراء التعديلات الشكلية فقط متى تطلب الأمر ذلك، دون أخذ الإذن المسبق من الباحث، كما يجوز لهيئة التحرير الاستعانة بأكثر من محكّم عند الضرورة، ويبلغ الباحث بقبول البحث من عدمه أو تعديله وفقاً لتقارير المحكّمين.

10. على الباحث أن يتعهد كتابياً بعدم نشر البحث أو الدراسة بأية وسيلة نشر أخرى، إلا بعد مرور سنتين من تاريخ النشر.

11. تلتزم المجلة بإشعار الباحث بوصول عمله، وإحالته إلى هيئة التحرير في موعد غايته أسبوعان من تاريخ الاستلام.

12. تشعر المجلة الباحث بصلاحية عمله للنشر خلال أسبوعين من استلام ردود المحكّمين.

13. تعلم المجلة الباحث في أي عدد سيتم نشر بحثه.

14. يحصل الباحث على نسخة واحدة من عدد المجلة حيث نشر بحثه أو دراسته.

15. أن يكتب الباحث اسمه الرباعي ودرجته العلمية ووظيفته، وجهة عمله في الصفحة الأولى من بحثه، مع ضرورة ذكر العنوان الذي تتم مراسلته عليه ورقم الهاتف والفاكس والبريد الالكتروني.

16. لهيئة التحرير الحق في عدم نشر أي عمل يتعارض مع سياسة المجلة وأهدافها.

الإشارة إلى المراجع:

عند التوثيق تتم الإشارة إلى مصادر البحث أسفل الصفحة بأرقام متسلسلة، مع مراعاة أن يكون ترقيم كل صفحة بشكل مستقل.

على الباحث أن يلتزم بالأسلوب التالي:

أ- في حالة الكتب يذكر اسم المؤلف كاملاً، عنوان الكتاب، دار النشر، مكان النشر، الطبعة، سنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

ب- في حالة البحوث أو المقالات المنشورة في دوريات متخصصة، يذكر اسم الكاتب كاملاً، وعنوان البحث، اسم الدورية، ورقم المجلد، والعدد، وتاريخ النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

الهوامش التوضيحية:

يقتصر استخدام الهوامش لشرح أو توضيح بعض النقاط الغامضة التي لا يتسع المجال لتناولها في المتن أو بهدف تسليط الضوء عليها.

قائمة المصادر والمراجع:

يراعى في كتابة قائمة المصادر والمراجع، كتابة المصادر أولاً، ثم المراجع العربية، ثم الأجنبية، ويرتب كل منها ترتيباً هجائياً.

المراسلات: ترسل البحوث على العنوان الآتي: رئيس تحرير مجلة المتكأ مركز المتكأ للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية. هاتف: 0355223065 فاكس (ناسوخ): 0535223065 – ص.ب. 38528 بني وليد - **ليبيا.**

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ [سورة التوبة الآية32]

يسعدني باسمي وباسم أسرة التحرير، أن يتجدد بنا العطاء مع مجلة المتكأ في عددها الثاني، الذي تناول العديد من المواضيع التي لامست مفاصل عدة في محيط الثقافة الواسع، لنكمل المشوار الذي بدأناه أول مرة، عاقدين العزم على الاستمرار، فلن توقفنا الصعوبات ولا العراقيل، ولن نكون ﴿**كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثا** ﴾ [سورة النحل الآية 92]، إذ حرصنا على أن تكون مجلتنا، المتكأ الذي يلجأ إليه الباحثين في مختلف مجالات العلوم والمعرفة، لنشر ثقافاتهم بين المتخصصين والمهتمين لخلق حوار علمي بناء، ولتنمية وتطوير النشاط العلمي وتفعيله وإثراؤه في كافة المجالات العلمية.

وفي الوقت الذي نشكر فيه تلك الأيادي البيضاء التي وقفت معنا فدعمت المجلة وأزالت العقبات من أمامها وحافظت على وجودها واستمرارها، ندعو الباحثين والدارسين وأعضاء هيئات التدريس، بمختلف تخصصاتهم العلمية، وفي مختلف الجامعات والمراكز البحثية المتخصصة إلى المشاركة بمجهوداتهم العلمية والبحثية؛ تطلعاً للهدف الأسمى الذي وضعناه نصب أعيننا وهو أن تكون مجلتنا حلقة وصل بين مركزنا (المتكأ) والأوساط العلمية المثقفة، وربط المركز بالمجتمع المحلي والإقليمي والعالمي.

﴿ **فأمَّا الزّبد فيذهب جفآءً وأمَّا ما ينفع النّاس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال**﴾ [سورة الرعد الآية 17] **صدق الله العظيم.**

رئيس التحرير

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة
أثر العولمة على الهوية الثقافية ..... أ. علي أحمد علي	8
الإعلام التفاعلي ..... أ. علي الونيس محمد أبو ستة	27
وجوه الإعجاز القرآني في مفهوم الرمَّاني. ..... أ. فوزية محمد صقر	43
العطف على البدل بين الرفض والقبول من خلال أبرز أقوال المعربين والمفسرين، عرض ودراسة ..... د. الصديق مسعود علي	58
التقارب الروسي الصفوي وأثره على الصراع الصفوي العثماني، في عهد الشاه عباس الأول (1587–1629م) ..... د. محمد عبد الرزاق العوفي	68
العلاقات الإيرانية الغربية في ظل أزمة البرنامج النووي الإيراني. ..... أ. أشرف علي محمد لامة	81
المشروعات الصغرى والمتوسطة ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية، التجربة الماليزية نموذجا ..... د. محمد سعد أبو كرش	109
تنمية بعض المهارات الاجتماعية لذوي صعوبات التعلم، لزيادة فعالية الذات وتحسين السلوك الاجتماعي لديهم. ..... د. فوزية عبد القادر عبد الحميد الدعيكي	122
تركيب الأسرة الريفية ووظائفها في المجتمع الليبي، "دراسة وصفية مقارنة على عينة من الأسرة الريفية بقرية وادي تينياى بمنطقة بني وليد" ..... أ. إبراهيم مفتاح المبروك	146
تقدير تركيز بعض العناصر في مياه الآبار الضحلة بمدينة ترهونة خلال فصل الصيف ..... سالم على قرير، ربيع مصطفى أبو راوي	169
دور التدريب الإلكتروني في تحسين إدارة الإنتاج، "دراسة ميدانية في مصانع الاسمنت الليبية" ..... د. مصطفى صالح عمر اعليجة	182
قضايا المرأة في الرواية النسائية الليبية ..... د. فتحية محمد صقر	199
صيغ الأمر بين المرّة والتّكرار ..... د. علي سالم علي إسماعيل	228
الغزو الثقافي الغربي (أسبابه، ومخاطره، ونتائجه) ..... د. المرزوقي علي الهادي	253
طُرز الأعمدة الإسلامية بالسرايا الحمراء (القلعة) بمدينة طرابلس دراسة أثرية فنّية ..... أ. فتحية سليمان مسعود الصديق، أ. فوزية الزرقاني إبراهيم فضل الله	272

التقارب الروسي الصفوي وأثره على الصراع الصفوي العثماني في عهد الشاه عباس الأول (1587-1629م)

د. محمد عبد الرزاق العوفي
جامعة الزاوية / كلية الآداب زوارة
قسم التاريخ

المقدمة:

في السنين الأولى من القرن السادس عشر الميلادي/العاشر الهجري، وقع تطوران مهمّان قُدّر لهما ان يؤثرا تأثيراً كبيراً في إعادة رسم الخارطة السياسية للشرق الإسلامي، التي شهدت تطورات جذرية وجوهرية متتالية، إن **أول هذين** التطورين المهمين: سيطرة الدولة العثمانية على جزء كبير من القارة الأوروبية، و**الآخر**: وصول الدولة الصفوية إلى سدة الحكم في إيران، لذا، فإن المتتبع للسياسة الخارجية لكلا الدولتين، يلاحظ تأثرهما بسير الأحداث البينية، والتي شهدت صراعاً مريراً استمر لأكثر من قرنين من الزمن، تخللها العديد من معاهدات الصلح والعلاقات الدبلوماسية، وما العلاقات الصفوية الروسية _فترة قيد الدراسة_ إلا مثالاً على تلك العلاقات التي تنشأ بين مختلف الدول، وأما أن تسهم في زيادة التقارب بين الدول، أو أن ينتُج عنها مزيداً من التناحر والتصارع نتيجة تضارب المصالح.

بناءً على ذلك تهتم هذه الدراسة بتتبع نشأت العلاقات الصفوية الروسية وتطورها في عهد الشاه عباس الأول، وكيف كان تأثيرها على الصراع الدائر بين الدولتين الجارتين الصفوية والعثمانية.

عليه، قسمت هذه الدراسة إلى أربعة محاور رئيسة، عرض **أولها** لمحة موجزة عن بداية تكّون روسيا منتصف القرن السادس عشر، فيما تتبع **ثانيها** نشأة وتطور الدولة الصفوية قبل الشاه عباس الأول، أما **ثالث** هذه المحاور فقد تناول العلاقات الروسية الصفوية قبل عهد الشاه عباس، بينما ناقش المحور **الرابع** التقارب الروسي الصفوي زمن الشاه عباس الصفوي وأثره في الصراع الصفوي العثماني.

المحور الأول: لمحة عن روسيا من إيفان الثالث إلى إيفان الرابع:

في منتصف القرن السادس عشر الميلادي كانت روسيا تمتد من نهر الفولجا الشمالي إلى الدنيبر، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى الدون، وذلك بعد أن تحرر من التبعية التترية، وكانت روسيا في نهاية عهد فاسيلي – إيفان الثالث – (1462-1505م) بدون سيبيريا وبدون سهول الفولجا ولا القوقاز والقرم وأوكرانيا الغربية وبدون البلاد الواقعة على ساحل البلطيق، ومع ذلك كانت دولة قوية مؤلفة من مساحات شاسعة اندرج أُمراءها الصغار تحت لواء دوقات موسكو الكبار واعترفوا باندماج ممتلكاتهم في إمارة موسكو، وكان السكان من الفلاحين والحرفيين والتجار والكهنة والرهبان الأرثوذكس، وكانت الأرض

تعطي إنتاجاً وفيراً، والشعوب لا تعرف الجوع، وكانت التجارة تجري مع الشرق حتى وصلت إلى بكين شرقاً، واتصلت مع قوافل آسيا الوسطى بواسطة الطرق المائية[1].

وبدأت تتشكل روسيا الكبرى مع وصول إيفان الرابع الملقب بالرهيب أو المرعب (1547-1584م) سدة الحكم، حين أعلن نفسه قيصراً لأول مرة في تاريخ روسيا، واتبع سياسة مركزية السلطة، كما خاض إيفان حروباً وسّع على أثرها أراضي روسيا وجعلها إمبراطورية مترامية الأطراف، حيث كان يسعى أن تربط روسيا بين بحر البلطيق وبحر قزوين، ففي سنة 1552م قاد القيصر إيفان الرابع جيشاً مكوناً من مائة وخمسين ألف جندي، واستولى على قازان بعد حصار استمر خمسين يوماً وقضى على حكم الأسرة التترية القازانية المسلمة، وفي سنة 1554م تمكن من الاستيلاء على استراخان أكبر مدن نهر الفولجا، وأصبح النهر قناة روسية بحتة، سهلت الوصول إلى بحر قزوين ومهدت الطريق إلى التوسع الروسي إلى ما خلف جبال الأورال التي تمتد عبر قارتي آسيا وأوروبا[2]، ثم وجه إيفان جهوده نحو الغرب ساعياً إلى التجارة مع أوروبا، حيث منح شركة مسكو الإنجليزية امتيازات تجارية خاصة في روسيا سنة 1561م[3].

المحور الثاني: لمحة عن نشأة الدولة الصفوية حتى عهد الشاه عباس:

شهد القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي قيام الدولة الصفوية وأمجادها، وينتسب الصفويون إلى صفي الدين الأردبيلي[4]الجد الخامس للشاه إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة وأول شاهاتها، فبعد دحره الوندا ميرزا حاكم دولة آق قويونلو[5]ودخوله مدينة تبريز، وإعلان قيام الدولة الصفوية سنة 1501م[6] توالت انتصارات الشاه إسماعيل تباعاً، فبسط نفوذه على أذربيجان، واستولى في نفس العام على شيراز،[7]وأخضع فارس وكرمان وخوزستان ومازندران واسترآباد وجميع أنحاء جيلان، وفي عام 1508م دمرت قوات الشاه إمارة ذو القدر وغزت خربوط وديار بكر واحتلت كردستان.[8]

1- ستيفن غراهام، إيفان الرهيب، ترجمة يوسف شلب الشام، دمشق، 1996، ص10-11.

2- محمد تقى مختارى " روابط سياسى ايران وروسيه در نيم دوم سدهء شانزده " مجلة تاريخ روابط خارجي، سنة 1383ه.ش، العدد 20، ص20؛ حمزة طاهر " تاريخ ايران" مجلة فرهنگ، محرم سنة 1359ه.ش، العدد 59، ص36؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الخامس من المجلد السابع، ص15-16.

3- نصر الله فلسفى، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة فتحي الريس، دار الثقافة، القاهرة، 1989، ص133.

4- صفي الدين ابن أمين الدين جبرائيل بن صالح (1252-1334م)، يعد عالماً وواعظاً وصوفياً من تلاميذ الشيخ زاهد الكيلاني، الجاف حسن كريم، موسوعة تاريخ إيران، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008م، ص15؛ أحمد الخولي، الدولة الصفوية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1981م، ص26-29.

5- كلمة تركية تعني القطيع الأبيض أسرة من تركمان آسيا الوسطى يطلق عليهم أيضا الدولة البايندارية اتخذت من (أمد) بديار بكر عاصمة لها ثم تبريز، حسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ط5، دار التعارف، سوريا، 1995م، ج3، ص57.

6- غياث الدين خوندامير، حبيب السير في أخبار وبشر، تهران، (د.ت)، ج4، ص258؛ علي رضا ليقون، برويززارع، شاهموس، تاريخ قراباغ، مؤسسة جاب وانتشارات، تهران، 1336هـ ش، ص59-60.

7- شرف خان البدليسي، شرفنامه، ترجمة محمد علي عون، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1962م، ج2، ص121.

8- إمارة ذو القدر أو البستان، تقع بين مرعش وملاطية شمال بلاد الشام، وتتبع أسيّما لنيابة حلب المملوكية، وقد حكمتها أسرة تركمانية منذ 1335م حتى قضى عليها سليم الأول عام 1515م، دائرة المعارف الإسلامية، ج9، ص399؛ لين بول ستانلي، الدول الإسلامية، ترجمة محمد فرزات، أحمد دهمان، دمشق،1974م، الجزء الثاني، ص454؛ يحيى بن عبد اللطيف القزويني، لب التواريخ، به سعي

بعد نجاح الشاه إسماعيل في تأسيس الدولة وإرساء قواعدها وفرض المذهب الشيعي الاثنى عشري وافته المنية عام 1524م وخلفه ابنه طهماسب الأول (1524–1577م) ولم يتجاوز الحادية عشرة من عمره[1]، ونظراً لصغر سنه سيطر زعماء القزلباش[2]على زمام الأمور في البلاد وظهرت المنازعات وتضاربت الأطماع[3]، وطالت فترة حكمه البالغة اثنين وخمسين عاماً ونصف العام، الحافلة بالحروب مع الأوزبك في الشرق والعثمانيين في الغرب، ومن أهم أعماله نقل العاصمة من تبريز – لقربها من الخطر العثماني – إلى قزوين عام 955هـ– 1548م[4] وبذل جهوداً كبيرة لإرساء دعائم الاستقرار بدولته.

خلف إسماعيل الثاني 1576م والده طهماسب الذي كان محبوساً في قلعة قهقهة الحصينة ما يقرب من عشرين عاماً، وتتهمه الأبحاث الإيرانية الحديثة[5]، استناداً على ما ذكرته المصادر الصفوية[6]، بأنه كاد يعرض الدولة لانتكاسة حقيقية بسبب ميله للمذهب السني وإبعاده لبعض علماء الشيعة عن البلاد، وقرَب إليه عدداً من علماء السنة، وما لبث أن فتك زعماء القزلباش بهذا الشاه في 985هـ– 1577م[7]، ونصّبوا أخاه محمد ميرزا شاهاً جديداً وعرف باسم (محمد خدابنده)[8].

لما كان الشاه محمد خدابنده ضعيف البصر[9] فقد أتاح ذلك الفرصة لزوجته (مها عليا) التصرف في أمور الحكم، فساءت أحوال البلاد، وكثرت الاضطرابات والفتن حسب قول فلسفي[10]، وما لبث أن

واهتمام سيد جلال الدين طهراني، مؤسسة خاور،1314هـ ش، 247-248؛ إسلام نيا، فريدون، نكاهي به تاريخ إيران بعد از إسلام، مؤسسة انتشاراتي حسيني أصيل، تهران، (د.ت)، ص240.

1- القزويني، لب التواريخ، تحقيق سيد جلال الدين، انتشارات مؤسسه خاور، 1314ه.ش، ص248.

2- القزلباش تعني " الرؤوس الحمراء " باللغة التركية، لاتخاذهم عمامة حمراء للرأس من أثنى عشرة ذؤابة كناية عن الأئمة الاثنا عشر، ويسمى تاج الحيدرية، وأسمهم باللغة الفارسية (سرخ أو سرخ سران) ومما أدى إلى ترجيح الاسم التركي نشأتهم وسط قبيلة الآق قويونلو، وان أغلبهم من أصول تركية، وسرعان ما تطور هذا الاسم وصار يشتمل جميع أتباع الصفويين، وأصبح يعني رافضي أو شيعي، القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت،(د.ت)، ص344؛ فهمي عبد السلام، القزلباش، مقالة بمكتبة اللغات الشرقية، جامعة عين شمس، ص1؛ مصطفى شرف، قبائل القزلباش ودورهم في العصر الصفوي، (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1991م، ص15-16.

3- شرفنامه البدليسي، ج2، ص149؛ إيوار " طهماسب الأول " دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت، (د. ت)، ج5، ص306.

4- رضا پازوكى، تاريخ إيران از مغول تا افشاريه، تهران 1334هـ ش، ص296.

5- عباس أحمد تاج بخش، إيران در زمان صفويه، تبريز، 1340، هـ ش، ص42؛ نصر الله فلسفى، زندگانى شاه عباس أول، تهران، 1339هـ ش، ج1، ص26؛ عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الظاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ترجمة محمد منصور، دار الثقافة، القاهرة، 1989م، ص653؛ عبد العزيز الجواهري "تاريخ الدولة الصفوية" مجلة الموسم سنة 1990م، العدد (8)، ص1376.

6- عباس قمى، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، تعريب هاشم ميلانى، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، (ب.ت) ج ٢، ص371؛ محمد محسن مستوفى، زبده التواريخ، بجهود بهروز گودرزى، بنياد موقوفات دكتر محمود افشار، تهران، 1375ه. ش، ص83.

7- القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص345.

8- خدابنده كلمة فارسية تعني عبد الله، وقد أشتهر بهذا اللقب لأنه اشتغل بالعبادة بعد فقده البصر، أحمد محمد الزيات، دراسة لتصاوير المخطوطات الأدبية الصفوية ورسومها على التحف التطبيقية (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1989م، ص24.

9- القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص346

10- نصر الله فلسفى، زندگانى شاه عباس اول، ج1، ص129.

دبَّر زعماء القزلباش مؤامرة قتلت فيها (مها عليا) في 1587م فزاد الأمر سوءاً وحاول بعض حكام الأقاليم الاستقلال عن طاعة الشاه، كما فعل حكام خراسان ونادوا بعباس ميرزا ابن الشاه محمد خدابنده شاهاً في خراسان[1] 1582م واختاروا (علي قلي خان شاملو) وصياً عليه[2]، إلا أنهم سرعان ما اعترفوا حمزة ميرزا ولياً للعهد، بعد أن أرسله والده الشاه محمد خدابنده على رأس جيش كبير لاستعادة خراسان، ووسط هذا الجو المشحون بالتمرد والعصيان قتل حمزة ميرزا في سنة 1586م، فظهر صراع جديد بين أخويه أبي طالب ميرزا وعباس ميرزا، وبعد أن زحف الأخير مع أنصاره ودخلوا العاصمة قزوين دون أدنى مقاومة، انتهى الأمر بإجبار الشاه محمد خدابنده بخلع التاج ووضعه على رأس ابنه عباس في1587م[3] والذي عرف فيما بعد بالشاه عباس الكبير.

يمكن القول إن عهد الشاه إسماعيل الأول يعد فترة التأسيس والتوسع للدولة الصفوية بينما يعدّ عهد الشاه طهماسب الأول عصر الاستقرار وبناء الدولة، في حين يوصف عهدي الشاه إسماعيل الثاني والشاه محمد خدابنده بالاضطراب والقلاقل السياسية، والتي لم تنقطع إلا بوصول الشاه عباس الأول إلى سدة الحكم وإحكامه القبضة على أنحاء البلاد، لذلك يعدّ عهده هو عهد القوة والتوسع الصفوي.

المحور الثالث: العلاقات الروسية الصفوية قبل عهد الشاه عباس:

تعدّ الرحلة التي قام بها الرحالة والتاجر الروسي افاناسي نيكيتين إلى الهند وبلاد فارس سنة 1468م حدثاً ممهداً للعلاقات الروسية الصفوية، حيث أقام هذا التاجر سنتين في بلاد فارس وسجّل رحلته في كتاب بعنوان: رحلة ما وراء البحار الثلاثة[4]، حيث استفاد التجار الروس من تلك الرحلة في إقامة علاقات تجارية مع شاهات الدولة الصفوية. وقد تعززت العلاقات الصفوية الروسية بعد إخضاع القيصر الروسي إيفان الرابع عام 1556م لكل من قازان واستراخان لسيطرة روسيا، الأمر الذي مكن روسيا من السيطرة على الطريق المائي الطبيعي المؤدي إلى بحر قزوين وهو نهر الفولجا، وبدأت رحلات القوافل التجارية في هذا النهر منذ ذلك الحين من مدينة قازان إلى المدن الصفوية الرئيسة[5]، حيث كان الطريق التجاري المائي الرئيس في القرنين السادس عشر والسابع عشر يمر من استراخان على امتداد الشاطئ

1- كان الشاه طهماسب الأول قد عين عباس ميرزا حاكماً على ولاية خراسان ومقرها هراة في عام 980هـ-1573م، وكان له من العمر عام ونصف، لذا أمر طهماسب ان يتولى الوصاية عليه (شاهقلي سلطان) بديع محمد جمعة، الشاه عباس الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، ص20.

2- ليلى فؤاد محمد " مكائد القزلباش في الحكم والسياسة " مجلة حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، ابريل 1994م، العدد 23، الجزء الثاني ص8؛ محمد، ليلى فؤاد، أدوار نسائية في تاريخ الدولة الصفوية، القاهرة، 2009م، ص45-49.

3- معصوم، ميرزا محمد، تاريخ سلاطين صفويه، به سعي اهتمام سيد أمين حسن عابدي، انتشارات بنيا فرنك إيران (د،ت)، ص17-20.

4- "افاناسي نيكيتين أول أوروبي زار الهند" http://arabic.rt.com/info

5- كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران، بغداد، 1985، ص15.

الغربي لبحر قزوين مروراً بمينائي تيركي ودربنت في داغستان، ثم الطريق البري من مدينة شماخي عاصمة شيروان (شمال أذربيجان) ثم إلى أصفهان عبر أردبيل وكاشان[1].

لقد حاول القيصر إيفان الرهيب استمالة الشاه طهماسب الأول للمشاركة في حربه ضد الدولة العثمانية، ففي سنة 1569م أرسل إيفان مندوبه (دولمت كازنيوفيتش) إلى الشاه وحمل معه هدايا مكونة من ثلاثين مدفعاً وأربعمائة بندقية، ووعد القيصر الشاه بتجهيز الجيش الصفوي بمزيد من السلاح إذا ما قبل بدعوته للتحالف معه ضد الدولة العثمانية، وقد رحب الشاه طهماسب الأول بهذا العرض وعبّر عن استعداده لمساعدة القيصر قدر المستطاع[2]، يبدو أن السلطات العثمانية كانت على علم بهذا المخطط، ففي نفس السنة جهزت الدولة العثمانية حملة بقيادة قاسم بك ضمت ثمانية وعشرين ألف مقاتل إضافة إلى ثلاثين ألف عامل، يساندهم ثلاثون ألف مقاتل تتري بقيادة (دولت كيراى) زعيم القرم، وذلك من أجل فتح قناة بين نهري الدون والفولجا وتأمين المرور بين البحرين الأسود والخزر (قزوين) بصورة مقابلة للوصول إلى تركستان عن طريق البحر، لكن هذه الحملة فشلت، فقد أوقفت الأعمال بحجة ازدياد البرد، إلاّ أن الحملة بأكملها فشلت وذلك بسبب خان القرم دولت كيراي الذي تصرف بطريقة تؤدي إلى تمييع العمل وعدم وصوله إلى نتيجة، لخشيته من بقاء جنود البحرية والمشاة العثمانيين بصورة مستمرة في حال فتح القناة، كما إن الحملة لم يشارك فيها لا السلطان العثماني سليم الثاني ولا الصدر الأعظم صوقوللي محمد باشا، بل ندب إليها قاسم بك والي كفه[3].

كانت حملة استراخان محاولة في حال تحقيقها ستؤدي إلى توجيه ضربة كبرى إلى الروس والصفويين والسيطرة على مراكز إنتاج الحرير الصفوي على الساحل الجنوبي والجنوب الغربي لبحر قزوين، إضافة إلى تقوية السيطرة العثمانية على طرق التجارة المارة من داخل أواسط آسيا، عابرة من شمال بحر قزوين وعلى رأسها طرق خوارزم واستراخان والقرم[4]، وعلى الرغم من فشل الحملة العثمانية على استراخان إلاّ أنها أربكت الروس والصفويين ولم يحدث التحالف الذي كان منتظراً.

وعلى الرغم من ذلك فقد استمر سعي الطرفين للتحالف ضد عدوهما المشترك الدولة العثمانية، وهذه المرة أرسل الشاه محمد خدابنده – والد الشاه عباس– سفيره إلى القيصر الروسي إيفان الرابع، طالباً منه العون ضد العثمانيين في المقابل وعد الشاه بأنه سوف يتخلى عن مقاطعتي باكو ودربند لروسيا بعد أن يستولي عليهما[5]؛ بيد أن الظروف التي كانت تمر بها الدولة الصفوية أواخر عهد الشاه طهماسب الأول

1- "تاريخ نشوء العلاقات الروسية الإيرانية" http://arabic.rt.com/info

2- محمد تقى مختارى " روابط سياسى ايران و روسيه در نيم دوم سدهء شانزده " ص21؛ قصي طارق "العلاقات الإيرانية الروسية حتى شباط 1917م" http://arabic.rt.com/info

3- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان سلمان، مؤسسة فيصل، استانبول، 1988م، ج1، ص367-368.

4 - Özer Küpeli .Osmanlı-Safevi Münasebetleri 1612-1639. s.33.

5- محمد طقوس، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، دار النفائس، بيروت، 2009م، ص207؛
Özer Küpeli .Osmanlı-Safevi Münasebetleri 1612-1639. s.38.

من اضطرابات وفوضى وصراع على السلطة داخل البيت الصفوي، قد أعاق تطور العلاقات الثنائية بين الطرفين، لذلك لم تشر المصادر التاريخية إلى عقد أي اتفاق بين الروس والصفويين خلال الفترة الممتدة من عهد الشاه إسماعيل الثاني ابن الشاه طهماسب الأول حتى السنوات العشر من حكم الشاه عباس الأول.

المحور الرابع: التقارب الروسي الصفوي زمن الشاه عباس الصفوي وأثره في الصراع الصفوي العثماني:

مع الاستقرار الذي بدأت تشهده الدولة الصفوية في عهد الشاه عباس الأول، حيث بدأ الشاه في تدعيم أركان حكمه بعد أن عقد معاهدة استانبول الأولى سنة 1590م مع العثمانيين التي انتهت بموجبها الحرب الصفوية العثمانية التي استمرت اثنتا عشرة سنة، خسرت خلالها الدولة الصفوية العديد من مناطقها في الشمال والشمال الغربي، لذلك توجه الشاه عباس إلى مراسلة الدول الأوروبية من أجل عقد اتفاق عسكري– تجاري لمواجهة العثمانيين، وكانت روسيا ضمن الدول التي حرص الشاه عباس على فتح قنوات الاتصال معها، وذلك للعداء التاريخي بين الروس والعثمانيين.

ولم يمضِ أكثر من سنتين على اعتلاء الشاه عباس الأول عرش الدولة الصفوية حتى أرسل كلاً من هادي بيك وبوداق بيك إلى البلاط الروسي، حيث استقبلهم بروبس جودونوف Boris Goudonov الوصي على العرش الروسي[1] وجدد الشاه في هذه السفارة عرض والده الشاه محمد خدابنده، عندما عرض على الروس بالتقدم صوب مدينتي باكو ودربند (على الساحل الغربي لبحر قزوين) كما تمنى أن يهاجم الروس أذربيجان وشيروان وكورجستان لطرد العثمانيين، في المقابل طلب الشاه من الروس المساعدة في حربه ضد الدولة العثمانية[2]، غير أن بوريس جودونوف لم يعطِ رداً واضحاً على مقترحات الشاه عباس، وبعد عشرة أيام التقى جودونوف بالوفد الصفوي مرة أخرى وأخبره بأنه سيرسل سفراء إلى الشاه من أجل التباحث حول هذه المقترحات[3].

بيد أن البلاط الروسي أرسل في عام 1593م سفير إلى الشاه عباس من أجل عتاب الشاه على عقد الصلح مع العثمانيين (معاهدة استانبول الأولى 1590م)، حيث عبّر السفير الروسي عن انزعاج حكومته بسبب ذلك الصلح، سيما وأن الشاه قد أرسل وفداً إلى روسيا بضرورة التحالف ضد العثمانيين[4]، ويبدو أن الشاه عباس لم يرد على ذلك اللوم والعِتاب الروسي، لذلك أرسل بوريس جودونوف بعد عدة

1- نظراً لصغر سن القيصر الروسي فيدور الأول ابن إيفان الرابع (المرعب) عُين بوريس جودونوف وصياً للعرش من قبل الجمعية الوطنية، وعند وفاة القيصر فيدور تم تنصيب بوريس قيصراً لروسيا في سبتمبر 1598م، للمزيد انظر: بطرس البستاني، دائرة المعارف، مطبعة الأدبية، بيروت، 1887م، المجلد التاسع، ص26.

2- محمد طقوس، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص207؛ نصر الله فلسفي، زندگانی شاه عباس أول، ج4، ص134.

3- نبيل بلاسي، العلاقات الإيرانية الروسية على زمن الشاه عباس الكبير 1588-1629م، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985، ص83.

4- المرجع نفسه، ص86.

شهور سفارة روسية باسم القيصر فيدور الأول ضمت ثلاثة وستين عضواً برئاسة الأمير اندريه زفينغور ودسكي، حيث وصلت السفارة في الرابع من نوفمبر سنة 1594م إلى مدينة كاشان الصفوية حيث كان يتواجد الشاه عباس وبقيت عدة شهور في ضيافة الشاه وتعددت اجتماعات الوفد الروسي مع الشاه في كاشان، ثم في العاصمة قزوين، وكان محور الحديث حول كيفية التصدي المشترك للدولة العثمانية، وكذلك رغبة الشاه في شراء الأسلحة النارية الروسية، كما شملت المحادثات الجانب الاقتصادي حيث عرض الشاه على الروس نقل الحرير الصفوي إلى أوروبا عبر الأراضي الروسية، ثم استكملت المحادثات في موسكو عندما أوفد الشاه مبعوثه الخاص (إمام قولي خان) لتهيئة الظروف لعمل عسكري مشترك ضد العثمانيين والاتفاق على فتح طريق تجاري بين البلدين[1].

يبدو أن الطرفين لم يُوفقا في الوصول إلى صيغة نهائية بشأن الاتفاق العسكري، غير أنهما اتفقا بخصوص الجانب الاقتصادي، حيث بدأت البضائع الصفوية سيما الحرير تتدفق إلى أوروبا عبر الأراضي الروسية[2]، وعلى ما يبدو فإن الشاه عباس فضل ذلك الطريق؛ لأنه أقصر مسافة وأقل تكلف من الطريق الذي فتحه الشاه مع الإنجليز، ثم الهولنديين عبر الخليج العربي، ثم رأس الرجاء الصالح ومنه إلى الموانئ الإنجليزية في أوروبا.

مع التحسن الملحوظ في العلاقات بين الدولتين الصفوية والروسية أرسل الشاه عباس سفارة ضخمة[3] إلى موسكو، حيث انطلقت في 9 يونيو سنة 1599م واتخذت طريق كاشان – قم – ساوه – قزوين – جيلان، ثم عبر بحر الخزر(قزوين) حتى وصلت إلى ميناء استراخان، ومنها اتخذت طريها إلى موسكو، واستغرقت الرحلة خمس أشهر ونصف، وسلم قائد البعثة حسين بيك رسالة الشاه إلى القيصر بوريس جودونوف (1598–1605م) والتي تلخصت في رغبة الشاه في إرساء دعائم الصداقة بين بلاده وقيصر روسيا وسائر الدول الأوروبية، بالإضافة إلى طلب الشاه من القيصر وملوك أوروبا الآخرين مهاجمة الدولة العثمانية من الغرب خاصة من أراضي المجر (هنغاريا)، كما طلب الشاه من القيصر أن يرسل شروطه ومقترحاته[4]، وبعد ستة أشهر من مكوث البعثة الصفوية[1] في ضيافة القيصر الروسي

1- باستانى باريزى "جزر ومد سياست واقتصاد در امپراتورى صفوى(6) " مجلة يغما، مايو 1346هـ.ش، العدد 226، ص66؛ " تاريخ نشوء العلاقات الروسية الإيرانية http://arabic.rt.com/info

2- نصر الله فلسفى، زندگانى شاه عباس أول، ج4، ص139-140.

3- ضمت السفارة مبعوث الشاه المدعو حسين علي بيك بيات والإنجليزي أنتوني شيرلي وأربعة من حرس الفرسان الصفويين، إضافة إلى أربعة عشر مرافقاً ورجل دين وخمسة من المترجمين، كما ضمت مرافقين لأنتوني شيرلي عددهم خمسة عشر شخصاً من الإنجليز، والجدير بالذكر أن هذه السفارة كانت تتعقبها قافلة صفوية من أثنى وثلاثين جملاً تحمل الهدايا التي كان الشاه قد اختارها للقيصر الروسي وملوك أوروبا، حيث كانت وجهة السفارة إلى كلاً من روسيا، إنجلترا، ألمانيا، واسبانيا. انظر: نصر الله فلسفى، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ص28.

4- سيد حميد حسنى " پى آمدهاى سياسى تنش بين صفويه وعثمانى " مجلة سخن تاريخ، يناير 1389هـ.ش، العدد 11، ص38؛ عبد الرضا هوشنك مهدوى، تاريخ روابط خارجي إيران از ابتداى دوران صفويه تايابان، انتشارات أمير كبير، تهران، 1364هـ ش ص66؛ نصر الله فلسفى، زندگانى شاه عباس أول، ج4، ص142.

استقل أعضاءها سفينة من ميناء (ارخانجلك) شمال روسيا وفي خريف سنة 1600م وصلوا إلى مدينة براغ الألمانية[2] لإكمال مهمتهم في باقي دول أوروبا.

لم تسجل المصادر التاريخية موافقة القيصر الروسي أو معارضته لمقترحات الشاه تلك، على الرغم من ترحيبه بها وتقديمه وعداً بدراستها والرد عليها، فإنّ شيئاً من ذلك لم يتحقق، واكتفى القيصر الروسي بإرسال مبعوثه الخاص (ألكسندر زاسكين) في العام التالي إلى الشاه عباس، حيث سلم المبعوث الروسي الهدايا للشاه وأخبره بأنه سيسافر إلى ألمانيا لمقابلة إمبراطورها رودلف الثاني (1575–1612م) لحثه على التحالف الثلاثي ضد العثمانيين[3]، ويعزو الباحث سبب موقف القصير الروسي ذلك إلى الظروف التي كانت تمر بها روسيا منذ وفاة إيفان الرابع سنة 1584م حتى وصول أسرة رومانوف إلى الحكم سنة 1613م، حيث تميزت هذه الفترة بالصراع الداخلي على السلطة وكذلك بسبب حروب روسيا مع السويد (1590–1595م)، الأمر الذي كان حائلاً دون عقد الروس أي اتفاق عسكري مع الصفويين ضد العثمانيين، واكتفوا بتقديم الوعود، في حين حرصوا على استمرار التعاون التجاري مع العثمانيين.

من اللافت للنظر في سياسة الشاه عباس الأول بخصوص محاولاته للتحالف او التقارب مع قياصرة روسيا ضد الدولة العثمانية، إنها تنشط مع تجدد حروب الشاه مع العثمانيين وتخبو في حال تصالحه معهم، فمع انطلاق الحرب الصفوية العثمانية (1603–1612م) وتحقيق الشاه انتصارات مهمة على العثمانيين حيث استرد تبريز وشيروان، قام الشاه عباس بإرسال رسالة إلى القيصر الروسي فاسيلي الرابع (1606–1610م) يخبره فيها بأن الدولة الصفوية تمكنت من استعادة مدينة وقلعة شماخي بشيروان من العثمانيين، وإنه على استعداد لتسليمها إلى موسكو إذا أراد القيصر، وذلك لصداقة الدولتين الصفوية والروسية[4] ورغم سخاء العرض الذي قدمه الشاه عباس في رسالة تلك، إلاّ أن روسيا كانت مازالت تعيش أياماً صعبة من الصراع الداخلي على السلطة فيما عرف في التاريخ الروسي بـ (زمن الشدائد 1605–1613م)[5].

بعد استعادة الشاه عباس العديد من المدن والقلاع في أذربيجان وأرمنستان من الدولة العثمانية، عمل الشاه على زيادة التقارب مع الروس ورفع حجم التبادل التجاري بينهما وحثهم للتحالف معه ضد

1- يجدر الإشارة أن البعثة الصفوية في روسيا واجهة بعض المشاكل التي أثرت على عملها، إذ لم يعترف القيصر الروسي بالإنجليزي أنتوني شيرلي كسفير للشاه عباس رغم انه يحمل رسالة بذلك من الشاه عباس، واعتبر حسين بيك هو الممتثل الوحيد للشاه، كما أمر القيصر بسحب جميع الرسائل التي بحوزة شيرلي والتي كتبها الشاه لبعض ملوك أوروبا، وربما يرجع تفسير ذلك إلى انزعاج القيصر بأن يكون مبعوث الشاه الصفوي شخصاً انجليزياً، آقاى محمود عرفان "سفير شاه عباس در مسكو" مجلة مهر، أكتوبر 1317هـ.ش، العدد 57، ص1106.

2- نبيل بلاسي، العلاقات الإيرانية الروسية على زمن الشاه عباس الكبير، ص90.

3- نصر الله فلسفي، زندگانى شاه عباس أول، ج4، ص144.

4- منوچهر ستوده " فهرست مراست ومكاتبات شاه عباس با پادرريان وسلاطين فرنگ " مجلة إيران شناسى، خريف 1381هـ.ش، العدد 55، ص562.

5- ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثالث من المجلد السابع، ص129-133.

الدولة العثمانية، فقد أرسل سنة 1610م رسالة إلى القيصر فاسيلي الرابع يخبره فيها بانتصاراته الأخيرة على العثمانيين، كما يُعلمه بأنه على استعداد لإعطاء مزيد من التسهيلات والامتيازات التجارية لروسيا، سيما في أذربيجان وأرمنستان المستخلصتان حديثاً من قبضة العثمانيين حيث يكثر فيهما إنتاج الحرير، وأخبر الشاه القيصر الروسي أن عليه حث التجار الروس على الاتجار في تلك المنطقة[1]؛ لكي ينجح الطرفان من إبعاد التجار العثمانيين عن التجارة في تلك المناطق، وفعلاً كانت لمقترحات الشاه عباس ثمارها إذ لوحظ زيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين، كذلك تم تبادل السفراء بينهما[2].

في عهد القيصر ميخائيل رومانوف (1613–1645م) بدأت روسيا تتخلص من مشاكلها الداخلية واستأنفت علاقاتها الخارجية، وبما أن الدولة كانت تتعرض لأزمات مالية بسبب ما كانت تعانيه سابقاً في فترة (زمن الشدائد)، لذلك أوفد القيصر ميخائيل رومانوف سنة 1618م إيفان فورتنسكي وإيوان ايوابوبج إلى الدولة الصفوية، حيث استقبلهم الشاه عباس بحفاوة في مدينة قزوين في 12 نوفمبر سنة 1618م، وقد طلب القيصر الروسي من الشاه خلال سفارته هذه توطيد دعائم الصداقة بين البلدين، واقترح أن تصدر الدولة الصفوية حرير المناطق الشمالية عن طريق بحر الخزر (قزوين)[3]، غير أن مهمة السفارة الحقيقة كانت طلب مساعدة مالية من الشاه عباس لتغطية الخسائر التي تكبدتها الدولة الروسية خلال الاضطرابات الداخلية التي سبقت عهد رومانوف، حيث أخبر السفيران الشاه عباس أن القيصر سوف يعطي الشاه سنداً مقابل هذه المساعدة، كما أبدى القيصر استعداده لرهن مدينة استراخان الإستراتيجية مقابل ذلك[4].

كان القيصر ميخائيل رومانوف يتوقع ألا يتأخر الشاه عباس في تلبية طلبه، وذلك بسبب الوعود والامتيازات التي قدمها الشاه للقياصرة الروس فيما سبق، ولكن بعثة القيصر فوجئت بتجاهل الشاه الصفوي لطلبها رغم الضمانات التي عرضها القيصر، واكتفى الشاه بإرسال الهدايا إلى القيصر[5].

من الوهلة الأولى يبدو أن تجاهل الشاه لطلب القيصر الروسي أمراً غريباً ويبعث على التعجب! لا سيما وان الشاه عباس كان حريص على كسب ود روسيا حيث منحها عدة مزايا اقتصادية، بل إنه عرض عليها في أحد سفاراته تسليم مدينة شماخي عاصمة شيروان بعد أن انتزعها من العثمانيين، ولكن بالنظر إلى تاريخ وصول البعثة الروسية إلى قزوين يزول ذلك التعجب، ويتضح سبب تجاهل الشاه عباس لمطالب القيصر الروسي، حيث كان الشاه آنذاك مشغولاً وفي حالة يرثى لها –إن صح التعبير– إذ كان في حرب مع العثمانيين، وكان الجيش العثماني ولأول مرة على مشارف مدينة أردبيل وكان الشاه عباس

1- نصر الله فلسفي، زندگاني شاه عباس أول، ج4، ص152.
2- محمد طقوس، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص208؛ بديع جمعة، الشاه عباس الكبير، ص268.
3- نصر الله فلسفي، زندگاني شاه عباس أول، ج5، ص233.
4- المرجع نفسه، ج4، ص162.
5- نبيل بلاسي، العلاقات الإيرانية الروسية على زمن الشاه عباس الكبير، ص99-100.

يكافح من أجل إقناع العثمانيين بوقف الزحف وعقد الصلح، بالإضافة إلى ذلك يبدو أن الشاه عباس أدرك عدم جدوى التحالف مع الروس لضرب العثمانيين.

كانت تلك السفارة آخر اتصال دبلوماسي بين قياصرة روسيا والشاه عباس الأول، وذلك لسخط القيصر الروسي من رفض الشاه عباس تقديم المساعدة المالية، إذ لم يُذكر أي اتصال بين الطرفين حتى وفاة الشاه عباس سنة 1629م.

وعلى الرغم من عدم نجاح الشاه عباس في عقد تحالف عسكري مع تسعة من قياصرة روسيا الذين عاصرهم، فإنه نجح في زيادة حجم التبادل التجاري بشكل مطرد بين البلدين، كما استطاع فتح طريق تجاري مع أوروبا عبر الأراضي الروسية ليتفاد بالتالي المرور من الأراضي الخاضعة للدولة العثمانية، فقط أصبح الطريق التجاري من موسكو إلى بلاد فارس يستقطب اهتمام دول شمال وغرب أوروبا وبصورة خاصة إنجلترا وهولندا، وكان التجار يشكلون ثلاث قوافل تجارية كل سنة عبر نهر الفولجا إلى الأراضي الصفوية، حيث يتم تبادل فرو السمور[1] وغيره من الحيوانات الشمالية، كذلك النحاس الأحمر والأقمشة، إضافة إلى الحرير ذو الجودة العالية، وكان التجار الإنجليز والهولنديين يسعون لنيل حق التجارة مع الدولة الصفوية عبر الأراضي الروسية[2].

لكن هذا الأمر لم يتفق ومصالح الحكومة الروسية التي كانت تمنع التجار الصفويين من دخول الأراضي الروسية في أماكن تتجاوز مدينة استراخان، في حين حُظر على التجار الإنجليز والهولنديين الخروج من ميناء (ارخانغ يلسك) في شمال روسيا، حيث كان يجري مقايضة الحرير الصفوي بالأقمشة الإنجليزية بعد شراءه من التجار الصفويين في استراخان[3]، وعلى الرغم من ذلك فإن الشاه عباس قد حقق هدفه في نقل حرير الولايات الشمالية مثل شامخي ومازندران وكيلان واسترآباد عن طريق سواحل بحر قزوين[4]إلى أوروبا عبر الأراضي الروسية دون مروره بالأراضي العثمانية في حال تعطل الطريق البحري عبر رأس الرجاء الصالح بسبب عدم اتفاقه مع الإنجليز أحياناً أو لمعارضة البنادق والهولنديين أحياناً أخرى.

لقد تمكن الشاه من تحقيق بعض النجاح حينما تمكن من نقل جزء كبير من تجارة بلاده إلى أوروبا عبر المحيط الهندي وطريق رأس الرجاء الصالح، كذلك إلى الشمال عبر الأراضي الروسية وإن

1- السمو: هو نوع من الثدييات يتبع جنس الخز من فصيلة العرسيات يعيش في بيئات الغابات، بشكل أساسي في روسيا بدءاً من جبال الأورال وعبر سيبيريا وشرقي كازاخستان وشمالي منغوليا والصين وكوريا الشمالية والجنوبية وفي هوكايدو في اليابان، وقد امتد نطاق تواجده في البرية في الأصل عبر روسيا الأوروبية وحتى بولندا وإسكندنافيا، كان يتم صيده للحصول على فروه عالي القيمة. انظر: http://ar.wikipedia.org/wiki.

2- أحمد بخش، إيران در زمان صفوي، ص117؛ كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران، ص15؛ P. Sykes. A History of Persia. p.177.

3- "تاريخ نشوء العلاقات الروسية الإيرانية" http://arabic.rt.com/info

4- جها نبخش ثواقب "ابريشم گيلان" مجلة شناخت، صيف 1381ه. ش، العدد (34)، ص151 -154.

كانت بشكل محدود لمعارضة الروس دخول التجار الصفويين في أماكن تتجاوز مدينة استراخان على نهر الفولجا، كما استطاع الشاه إيجاد منافسة على حريره بين الإنجليز والهولنديين والروس مما حق له مكاسب كثيرة، غير أن هذا التحول في طرق التجارة كان غير مستدام، حيث كان يتوقف على مدى علاقة الشاه بالدولة العثمانية؛ إذ كانت التجارة الصفوية تُعاود تدفقها عبر الأراضي العثمانية زمن الصلح، مما أدى إلى تدمر التجار الأوروبيين سيما الهولنديين والإنجليز، الأمر الذي جعلهم يترددون في الالتزام بخطة الشاه في تحويل طرق التجارة.

الخاتمة:

وأخيراً يمكن القول فيما يتعلق بالعلاقات الروسية الصفوية، فقد تطورت العلاقات بين البلدين تدريجياً سيما عندما استعاد الشاه عباس مناطق شيروان وروان من العثمانيين، وأصبح في تماس مع الأراضي الروسية، كما بدأ تبادل البضائع بين الطرفين عبر نهر الفولجا وبحر قزوين وبدأت البضائع الصفوية سيما الحرير تأخذ طريقها إلى أوروبا عبر روسيا، وعلى الرغم من تحسن العلاقات السياسية بين الروس والصفويين، وكذلك الازدياد المطرد في السفارات والبعثات بينهما وكذلك الوعود التي قدمها كل طرف للآخر، وعلى الرغم من إنها أربكت السلطات العثمانية التي نظمت حملة استراخان من أجل إفشال مشروع التقارب الصفوي الروسي، فإنّ ذلك التقارب لم يستثمر إلى تحال عسكري حقيقي.

المراجع

المراجع العربية والعثمانية والإيرانية:

1. أحمد الخولي، الدولة الصفوية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،1981م.
2. أحمد محمد الزيات، دراسة لتصاوير المخطوطات الأدبية الصفوية ورسومها على التحف التطبيقية (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1989م.
3. إسلام نيا، فريدون، نكاهي به تاريخ إيران بعد از إسلام، مؤسسة انتشاراتي حسيني أصيل، تهران، (د.ت).
4. آقاى محمود عرفان "سفير شاه عباس در مسكو" مجلة مهر، أكتوبر 1317هـ.ش، العدد 57.
5. إيوار " طهماسب الأول " دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت، (د. ت)، ج5.
6. باستانى باريزى "جزر ومد سياست واقتصاد در امپراتورى صفوى(6) " مجلة يغما، مايو 1346هـ.ش، العدد 226.
7. بديع محمد جمعة، الشاه عباس الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.
8. بطرس البستاني، دائرة المعارف، مطبعة الأدبية، بيروت، 1887م، المجلد التاسع.
9. الجاف حسن كريم، موسوعة تاريخ إيران، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008م.
10. جها نبخش ثواقب "ابريشم گيلان" مجلة شناخت، صيف 1381هـ. ش، العدد (34).

11. حسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ط5، دار التعارف، سوريا، 1995م، ج3.
12. حمزة طاهر " تاريخ ايران" مجلة فرهنگ، محرم سنة 1359هـ.ش، العدد 59.
13. دائرة المعارف الإسلامية، ج9، ص399؛ لين بول ستانلي، الدول الإسلامية، ترجمة: محمد فرزات، أحمد دهمان، دمشق،1974م، الجزء الثاني.
14. رضا پازوكى، تاريخ إيران از مغول تا افشاريه، تهران 1334هـ ش.
15. ستيفن غراهام، إيفان الرهيب، ترجمة يوسف شلب الشام، دمشق، 1996م.
16. شرف خان البدليسي، شرفنامه، ترجمة: محمد علي عون، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1962م، ج2.
17. عباس أحمد تاج بخش، إيران در زمان صفويه، تبريز، 1340، هـ ش.
18. عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الظاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ترجمة: محمد منصور، دار الثقافة، القاهرة، 1989م.
19. عباس قمى، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، تعريب هاشم ميلانى، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، (ب.ت) ج٢.
20. عبد العزيز الجواهري "تاريخ الدولة الصفوية" مجلة الموسم سنة 1990م، العدد(8).
21. علي رضا ليقون، يرويززارع، شاهموس، تاريخ قراباغ، مؤسسة جاب وانتشارات، تهران، 1336هـ ش.
22. غيات الدين خوندامير، حبيب السير في أخبار وبشر، تهران، (د.ت)، ج4.
23. فهمي عبد السلام، القزلباش، مقالة بمكتبة اللغات الشرقية، جامعة عين شمس.
24. القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت،(د.ت).
25. القزوينى، لب التواريخ، تحقيق: سيد جلال الدين، انتشارات مؤسسه خاور، 1314هـ.ش.
26. قصي طارق "العلاقات الإيرانية الروسية حتى شباط 1917م.
27. كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران، بغداد، 1985م.
28. ليلى فؤاد محمد " مكائد القزلباش في الحكم والسياسة " مجلة حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، ابريل 1994م، العدد 23، الجزء الثاني.
29. محمد تقى مختارى " روابط سياسى ايران وروسيه در نيم دوم سدهء شانزده " مجلة تاريخ روابط خارجي، سنة 1383هـ.ش، العدد 20.
30. محمد طقوس، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، دار النفائس، بيروت، 2009م.
31. محمد محسن مستوفى، زبده التواريخ، بجهود بهروز گودرزى، بنياد موقوفات دكتر محمود افشار، تهران، 1375هـ. ش.
32. محمد، ليلى فؤاد، أدوار نسائية في تاريخ الدولة الصفوية، القاهرة، 2009م.
33. مصطفى شرف، قبائل القزلباش ودورهم في العصر الصفوي، (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1991م.

34. معصوم، ميرزا محمد، تاريخ سلاطين صفويه، به سعي اهتمام سيد أمين حسن عابدي، انتشارات بنيا فرنك إيران (د.ت).
35. منوچهر ستوده " فهرست مراست ومكاتبات شاه عباس با پادرريان وسلاطين فرنگ " مجلة إيران شناسى، خريف 1381هـ.ش، العدد 55.
36. نبيل بلاسي، العلاقات الإيرانية الروسية على زمن الشاه عباس الكبير 1588–1629م، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985م.
37. نصر الله فلسفى، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة فتحي الريس، دار الثقافة، القاهرة، 1989.
38. نصر الله فلسفى، زندگانى شاه عباس أول، تهران، 1339هـ ش، ج1.
39. ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الخامس من المجلد السابع.
40. يحيى بن عبد اللطيف القزوينى، لب التواريخ، به سعي واهتمام سيد جلال الدين طهراني، مؤسسة خاور،1314هـ ش.
41. يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان سلمان، مؤسسة فيصل، استانبول، 1988م، ج1.

المرجع الأجنبية:

1. http://ar.wikipedia.org/wiki.
2. http://arabic.rt.com/info
3. Özer Küpeli.Osmanlı–Safevi Münasebetleri 1612–1639. s.33.
4. Özer Küpeli.Osmanlı–Safevi Münasebetleri 1612–1639. s.38.

P. Sykes. A History of Persia.